الأثر الاجتماعي في خروج الأمام الحسن عليه السلام من ماله

الأستاذ المساعد الدكتور
زينب ابراهيم حسن
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المقدمة:

في دراسة سير أهل البيت عليهم السلام أهمية كبيرة لكل من يريد ان يتبع اثارهم ويعرف حقهم، وعرفة هذه الاثار والحقوق تتكامل لديه وتتعزز مسوغات الايمان الذي سيدفع باتباع نهجهم الصالح الذي اراده الله سبحانه وتعالى صراطا قويما للمؤمنين الذين يرجون رضوان الله ومغفرته.

والامام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام مثابه كبرى من مثابات أهل البيت الكرام في هذا الجانب، رغبنا في تسليط الضوء على كرمه وجوده الذي فاق حد التصوير، ومعرفة الروس التي سعى لتقديمها للمسلمين من بعده في مثل هذه الممارسة الانسانية الخالدة، لذلك وقع اختيارنا على موضوع " الاثر الاجتماعي لخروج الامام الحسن عليه السلام من ماله "عنوانا لهذا البحث المركز الذي انقسم على مبحثين، حمل الاول عنوان " الامام الحسن عليه السلام والخروج من ماله "وجاء الثاني بعنوان (اثر الاجتماعي لخروج الامام الحسن عليه السلام من ماله" وانتهينا بخاتمه تضمنت اهم نتائج التي توصل اليها البحث.

وبالرغم من قله المصادر الاولية التي سلطت الضوء على هذا الجانب في حياة الامام الحسن عليه السلام الا اننا اعتمدنا بعض المصادر والمراجع التي اسهمت في معالجة الموضوع وعرض مضمونه، وعناوينها مثبتة في قائمة الهوامش والمصادر.

المبحث الاول

الامام الحسن عليه السلام والخروج من ماله

الإسلام نظام شامل وكامل للحياة، فهو دين نظم العلاقة بين الخالق والمخلوق من جهة، وبين المخلوقات مع بعضها البعض ضمن اطار المنظومة الكونية التي اوجدها الله سبحانه وتعالى من جهة اخرى. ولكي يأخذ هذا التنظيم مداه الفعلي، اوجب الإسلام تطبيق تشريعاته التي جاء بها القرآن الكريم، هادفاً من وراء ذلك في نهاية الامر، تحقيق سعادة الانسان في الدنيا والاخرة.

إن سعادة الي رسمها الإسلام للإنسان تكمن في جملة قيم واسس تستند عليها كل مظاهر العدل والمساوة بين الناس، فلا سعادة حقيقية بدون ذلك، كما وان الدور الحقيقي للإنسان المسلم في هذه الحياة هو السعي لتحقيق كل تلك المظاهر، ومنها الايثار، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]. ومن تلك المظاهر، الاحسان، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. ومن تلك المظاهر ايضا، البر، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[3]. ومن تلك المظاهر ايضا، النفاق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

إن خير من جسد هذا التطبيق هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته الكرام عليهم السلام، الذين عاشوا لاسعاد الناس والبر بهم والاحسان لفقرائهم ومشاركتهم في البأساء والضراء، ولسنا هنا في عرض تفصيلي لهذا التجسيد ولكننا سنتخذ من الامام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، موضوع البحث، أنموذجاً لهذا التجسيد.

لقد تغذى الامام الحسن عليه السلام بلباب المعرفة وبجوهر الايمان، اذ عاش في كنف جده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ووالديه، الامام علي والزهراء البتول عليهما السلام، لذلك فقد انطبعت مثله في دخائر نفسه واعماق ذاته وفكان من اسد الناس ايمانا ومن اكثرهم اخلاصا وطاعة، فليس من الغريب ان قدم كل غال ونفيس في سبيل الله مرضاة الله سبحانه وتعالى، فقد "خرج الحسن بن علي عليه السلام من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات..."[٥]. والخروج من ماله معناه التصديق بما يملكه من مال في سبيل الله سبحانه وتعالى، ومقاسمة المال مع الله معناه التصديق بنصف ماله في سبيل الله تعالى.

لم تكن عملية الخروج من المال هي الدائرة الوحيدة التي تحرك فيها الامام الحسن عليه السلام جوداً وكرما واحسانا، بل استكمل ذلك بصور اخرى عديده ذكرتها مصادر مختلفة، نحن فيها منحى سلفة الصالح فيما يخص توزيع الاموال او التصديق بها للفقراء والمحتاجين، ومن تلك الصور مثلا: ان اعرابياً جاء الامام سائلاً، فقال عليه السلام اعطوه ما في الخزانة.... فقال الاعرابي: يا مولاي الا تركتني ابوح بحاجتي وانشر مدحي؟ فقال الامام عليه السلام[٦]:

نحن اناس نوالنا خضل ... يرتع فيه الرجاء والامل

تجود قبل السؤال انفسنا ... خوفا على ماء وجه من يسل

لو يعلم البحر فضل نائلنا ... لفاض من بعد فيضه خجل

ومن الصور الأخرى، ان "رجل جاء اليه عليه السلام وساله حاجه فقال له: يا هذا حق سؤالك لدي، ومعرفتي بما يجب لك يكبر لدي، ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله، والكثير في ذات الله عز وجل قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنه الاحتفال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت؟ فقال: يا ابن رسول الله اقبل القليل واشكر العطية، واعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها... فدفع الدراهم

والدنانير إلى الرجل... فقال مواليه: والله ما بقي عندنا درهم فقال: لكني ارج وان يكون لي عند الله اجر عظيم"[٧].

لقد كان السخاء عنصر من عناصر ذات الامام الحسن عليه السلام، واثر عنه انه لم يقل لسائل لا، وعن سبب ذلك اجاب عليه السلام" اني لله سائل، وفيه راغب، وانا استحي ان اكون سائلا وارد سائلا، وان الله عودني عادة ان يفيض نعمه علي، وعودته ان افيض نعمه على الناس، فأخشى ان قطعت العادة ان يمنعني العادة"[٨].

لم يقف جود الامام الحسن عليه السلام عند الجانب المادي فقط، بل تعداه إلى جوانب انسانية اخرى، ومن صور ذلك "قال انس: حيت جاريه للحسن بن علي عليه السلام بطاقة ريحان فقال لها: انت حره لوجه الله فقلت له في ذلك فقال: ادبنا الله تعالى فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾، وكان احسن منها اعتقها"[٩]. وهكذا تتجلى انسانية الانسان وحريته وكرامته عند الامام عليه السلام.

المبحث الثاني

الاثر الاجتماعي لخروج الامام الحسن عليه السلام من ماله

انطلق الامام الحسن عليه السلام بعطائه وجوده من قاعدة عميقة في فهمه للمعاني لعظيمة التي يتضمنها العطاء والتي جاء بها الإسلام و فالعطاء من الوسائل المهمة التي تقرب إلى الله تعال، فقد قال النبي محمد صلى الله عليه وآله في ذلك: " السخي قريب من الله و قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب إلى النار"[١٠]. وبهذه الممارسة جسد الامام مبدا التكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام تحقيقاً للعدالة الاجتماعية، بما يسهم في قطع جذور الفقر وكل اشكال الاستجداء، فهو لم يعطي القليل لقضاء حاجه يوم أو عدد من الأيام، بل كان يعطي الكثير ليتمكن السائل من قضاء حاجته وبناء متطلبات ما يلزمه لقادم الأيام، وهذا يعزز من بناء لحمة ابناء المجتمع

الواحد وعد السماح بتفكيكه.

والسخاء عند الامام الحسن عليه السلام حقيقة كان بذل الخير بداعي الخير، وبذل الاحسان بداعي الاحسان، "وقد تجلت هذه الصفة الرفيعة بأجلى مظاهرها واسمى معانيا في الامام أبي محمد عليه السلام حتى لقب بكريم أهل البيت"(١١). فالإمام عليه السلام كان لا يعطي للمال قيمة ولا يرى له أهمية سوى ما يرد به جوع جائع، أو يكسو به عارياً، أو يفي به دين غارم.

الخاتمة:ـ

- جسد الامام الحسن عليه السلام الميدان العملي لتطبيق ما جاءت به الشريعة الاسلامية، ومن ذلك ما يتعلق بالكرم والسخاء، كيف لا وهو ابن مدرسة جده النبي محمد صلى الله عليه وآله ووالديه الامام علي بن أبي طالب و الزهراء البتول عليهما السلام، فقد كان جواداً كريماً لبّى حاجة الفقراء والمساكين والمحتاجين.
- كان الامام الحسن عليه السلام عارفا الاسوة الحسنه ومالها من تأثير في المجتمعات والدول، والتي جسدها أولاً، النبي محمد صلى الله عليه وآله، فالأسوة الحسنه هي التي تقود وتبني المجتمع على أسس صحيحة، ومن تلك الأسس أن يكون الشخص الأول جواداً كريماً بما يملك في سبيل الله، وان يهدف هذا الجود والكرم من هم احوج إلى المال، كما ان تحرير الرقاب، وبخاصة تلك التي حررها الامام، اعطت الصورة عظيمة للإسلام الذي جاء لتعزيز انسانية الانسان وحفظ كرامته، وان لقب (كريم أهل البيت) الذي حمله الامام كان شعارا في المضمون والتطبيق لكل مسلم.
- جسد الامام الحسن عليه السلام مبدأ التكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام تحقيقا للعدالة الاجتماعية بما يسهم في قطع جذور الفقر وكل اشكال الاستجداء، وحث الاغنياء واشعرهم ان للفقراء عليهم حق في اموالهم وما يملكون.

هوامش البحث

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٣) سورة ال عمران: الآية ٩٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٢.

(٥) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام، مج٤٢، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،٢٠٠٨)، ص٢٥١.

(٦) الحسني، هاشم معروف، سير الأئمة الاثني عشر، قسم الاول، (قم: مطبعة شريعت، ١٤٢٥هـ، ص٤٦٧.

(٧) الاربلي، ابو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٢هـ)، كشف الغمه في معرفة الائمة، (قم: مطبعة شريعت،١٤٢٧هـ)، ص٥٢٣.

(٨) القرشي، باقر شريف، حياة الامام الحسن بن علي دراسة وتحليل، تحقيق مهدي بقر القرشي، (النجف الاشرف: مطبعة الوردي، ٢٠١٣)، ج١، ص١٠٣.

(٩) المجلسي، المصدر السابق، ص٢٥٤.

(١٠) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، سسن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣)، ج٤، ص٣٤٢.

(١١) القرشي، المصدر السابق، ص١٠٣.